يوم اللغة العربية

في اليوم الثامن عشر من ديسمبر من كل عام يتم الاحتفال باليوم العالمي للغة العربية، بعد جهود مضنية بذلها العرب، منذ الخمسينات الميلاديةٍ، لانتزاع بعض الاعترافات الخجولة التي يقدمها الغالب تفضلاً منه على المغلوب، وتلك حكاية معروفة في الأمم غير المتحدة ، وكما جرت العادة يقتصر الاحتفال بهذا اليوم المشهود على بعض أقسام اللغة العربية في الجامعات العربية، وبعض المؤسسات أو مجامع اللغة العربية أو المراكز الثقافية أو التعليم العام على هيئة ملصقات تمتلئ بالأخطاء الإملائية والنحوية.

أما بقية الشعب الحائر فلا يدري عن هذا اليوم، وإن دري فهو لا يعنيه، وإذا عناه فإنه يسخر منه، أو لا يهتم به لذاته، وإنما ما يصاحبه من منافع، والمنافع معظمها يتمثل في الكلمات الرنانة التي فقدت تأثيرها من التكرار، أو اللقاءات البهلوانية، أو بعض الدروع التي تُمنح لفلان لجهوده في تطوير اللغة العربية والمشاركة في يومها العظيم، على الرغم من أن هذا الفلان يلحن حين يكتب سطرين، كأنه أعجمي يلوك لسانه، سقيم التعبير والتحبير.

ومن العجب أن الجامعاتٍ العرِبية التي تحتفل بهذا اليوم المشهود تجعل اللغة العربية خيارا ثانيا في صفحاتها الرسمية عٍلى مواقع الإنترنت، وبعضها لا تجعل العربية من الخيارات أصلا بل تنفيها ولا تعترف بها، ومع ذلك تشارك في الاحتفال، كفعِل القاتل الذي يتباكى مع أهل القتيل ويشاركهم العزاء، إمعانا منه في مزيد من السخرية، أو كمن يعاني من حالة فصام حادة .

أما الحقيقة التي يعرفها الجميع، ويهرب منها الجميع؛ هي أن اللغة هوية الأمة ولسانها الناطق وسيفها المسلط ؛ وهي فوق

هذا وذاك لغة القرآن الكريم والسنة النبوية ، فحين تكون قوية ستفرض نفسها دون احتفالات مضحكة.

واللغة لا تألفها الناشئة، ولا تتعلمها الأجيال بقرار رسمي، ولا بواسطة مراكز، أو هيئات، أو مجامع، أو احتفالات بل هي ممارسة وتطبيق فاعل في جميع مناشط الحياة ؛ على عكس حالها الآن ؛ الذي ذبحته اللغة الأجنبية واحتلت الصدارة في كل مرافق الحياة؛ وإن شئت فقل دخلتها العجمة والعوج اللفظي والمعنوي.

واللغة تشبه القدوة في السلوك البشري، فحين تقدم لأجيالك القدوة السيئة في حياتهم، ثم تطلب منهم أن يستقيموا على الطريقة المثلى، فأنت تشبه ذلك الأب الذي ينفث دخان سيجارته في وجوه أطفاله المساكين ، وويل لأحدهم لو رآه هذا الأب الغاشم يعبث بالسجائر ولو كان فعله فضولا ومحاكاة.!

وهنا حُقَّ لي أن أقول : ما جدوى مثل هذه الاحتفالات، وما نفعها في حياة الأجيال .

وبالتأكيد لا أملك إجابة شافية كما يملكها أعضاء (مجامع اللغة العربية).

ولكن ما أعرفه هو أن القدوة الحسنة تشبه الوطنية الصادقة تعمل ولا تتكلم، وكذلك اللغة الفاعلة تعمل وتفرض نفسها بين أبنائها، ولا تصبح غريبة الوجه واليد واللسان كحالها في زماننا هذا.